"ذكر ملوك اليونانيين في كتابات المسعودي*

د. السيد جاد(*)

يعد المسعودي أحد أشهر أئمة المؤرخين العرب في القران الرابع الهجري – العاشر الميلادي، والذي بلغت فيه الحضارة العباسية أوج ازدهارها(١). ففي ذلك الوقت وصلت حركة الترجمة إلى اللغة من اللغات الشرقية و الغربية إلى ذروتها(٢)، وكان من نتيجتها، كما هو معروف، أن حافظ العرب على التراث الحضاري العالمي، وساهموا بدورهم، من ناحية أخرى، في تطوير المعارف والعلوم الشرقية والغربية المعروفة آنذاك(٣). وقد تميز المسعودي بمنهج جديد في كتاباته جمع فيه بين الجغرافيا والتاريخ واتبع فيه المنهج الموضوعي بالإضافة إلى المنهج الحولي، إلى جانب ما تميزت به كتاباته من طابع عالمي وموسوعي(٤). و كان الرجل بذلك مجدداً في ميدانه وصاحب بصمة واضحة في مجال الكتابة التاريخية، شهد له بها المؤرخون القدماء أنفسهم، وأقرّها بعض الدارسين الغربيين في العصور الحديثة عندما لقبوه" هيرودوت العرب"(٥). وتهتم هذه المقالة بدراسة ما أورده المسعودي عن تاريخ اليونان القديم، خاصة وأنه اعتمد فيها على بعض المصادر اليونانية القديمة. وفي الوقت ذاته فإنها تهدف إلى توضيح مدى اهتمام العرب بالتعرف على التاريخ القديم لبعض الشعوب والحضارات التي تعرفوا بها على نطاق واسع بعد الفتوحات الإسلامية، وإلى وضع أساس للمقارنة بين حدود اهتمامهم بالتاريخ، على وجه التحديد، وبين مدى اهتمامهم ببعض المعارف والعلوم الأخرى التي وجدوها عند اليونانيين.

---

* تشكل هذه المقالة نسخة مختصرة ومعدلة من دراسة سابقة قمت بها بعنوان "تاريخ اليونان القديم كما أورده المسعودي". ويسرني هنا أن أشكر القائمين على سمنار التاريخ الإسلامي والوسيط بالجمعية المصرية للدراسات التاريخية السماح لي بالمشاركة فيه بهذا الموضوع.لقد أفدت كثيراً من الملاحظات الدقيقة للمشاركين في المناقشة التين أعقبت المحاضرة

(*)كلية الآداب–جامعة طنطا.

مقدمة:

أشار المسعودي في العديد من كتاباته إلى تاريخ وحضارة اليونان، إلا أنه لم يصل إلينا من مؤلفاته كاملاً سوى كتابيه "مروج الذهب ومعادن الجوهر"، و "التنبيه والإشراف"[٦]، اللذين وصفا بأنهما "من روائع الكتابات التاريخية العربية"[٧]. ووردت إشاراته إلى هذا الموضوع في الكتاب الأول، كما يوضح في مقدمته، في ثلاثة أبواب يحمل أولها عنوان: "ذكر ملوك اليونانيين وأخبارهم وما قال الناس في بَدئ أنسابهم"، وثانيها: "ذكر جوامع من أخبار حرب الإسكندر بأرض الهند"، وثالثها: "ذكر ملوك اليونانيين بعد الإسكندر"[٨]. أما في كتابه "التنبيه والإشراف"، الذي يمثل في حقيقة الأمر مختصراً لبعض أعماله السابقة، فقد كان الحديث عن هذا الموضوع تحت عنوان "ذكر ملوك اليونانيين ومدة ما ملكوا من السنين"[٩]. إلا أن المسعودي، على الرغم من صغر المساحة التي خصصها لموضوعه في "التنبيه والإشراف"، ضمّنها إشارة مطولة إلى كتاب سابق له يصل إلينا، هو كتاب "فنون المعارف وما جرى في الدهور السوالف"، موضحاً أنه تحدث هنالك عن أخبار اليونانيين وعن فلاسفتهم وعن بعض الموضوعات الفلسفية، وعن سبل انتقال المعارف والعلوم اليونانية إلى العرب[١٠]. ولأن هذين الكتابين يمثلان آخر ما كتب هذا المؤرخ وأكمل ما وصل إلينا من أعماله[١١]، فإن ما ورد بها من معلومات تاريخية عن اليونانيين يمثل، حتى الآن جلّ ما توصل إليه الرجل في دراساته وأبحاثه عن هذا الموضوع.

ويتضح من كتاب "التنبيه والإشراف"، بشكل خاص السبب وراء اهتمام المسعودي بالحديث عن اليونانيين. ففي هذا الكتاب المختصر تحدث عن الفرس وعن اليونانيين والروم وعلاقتهم بالدول الإسلامية، ولم بتطرق إلى الحديث عن بلاد الهند والصين وغيرها من الممالك الشرقية، كما فعل في مروج الذهب ومعادن الجوهر.[١٢] وباستطاعتنا، فيما يتعلق بالهدف من وراء هذه المقالة، أن نميز فيه ثلاث نقاط أساسية تتمثل في: أصل اليونانيين وتسميتهم وموقعهم الجغرافي، ثم الإسكندر الأكبر ووالده فيليب ثم ملوك البطالمة

أصل اليونانيين وتسميتهم وموقعهم الجغرافي:

فصل المسعودي الحديث عن أصل اليونانيين في "مروج الذهب ومعادن الجوهر"، بينما اكتفى في "التنبيه والإشراف" بإشارة موجزة مع توضيح أنه تحدث عنهم بالتفصيل في كتاب سابق له(١٣). وباستثناء ما يوجد في "التنبيه والإشراف" من تفاوت في الآراء بشأن "يونان" الذي ينتسب إليه اليونانيون، وأنه من ولد "يافث بن نوح"، كما يقول البعض، أو أنه أحد الأحفاد البعيدين لـ:"سام بن نوح" كما يقول البعض الآخر، فإن بقية الحديث هنا تجعل من معالجة "مروج الذهب ومعادن الجوهر" الأساس لمناقشة أصل اليونانيين وموقعهم الجغرافي. وقد بدأ المسعودي مناقشته العلاقة بين اليونانيين وبين الروم، مبيناً أن هناك من المؤرخين من يرى أنهم ينتسبون إلى حيث تنسب الروم. ويتسم نقده لهذه الفكرة بالقوة في مواجهة ما يبدو وكأنه فكرة سائدة في وقته بين المؤرخين تجمع اليونانيين والرومان في سلة واحدة . ويمكن تفسير هذه الفكرة، بطبيعة الحال، في ضوء أن الإمبراطورية البيزنطية، التي كانت متاخمة لحدود العالم الإسلامي الغربية في ذلك الوقت، كانت إمبراطورية رومانية في الأساس، وإن غلبت عليها الهوية الثقافية اليونانية. إن المسعودي ينفي بوضوح وفي أكثر من موضع تكون الأمّتان مشتركتين في الأصل، على الرغم من إدراكه لأوجه التشابه بينهما في الحضارة والثقافة، وللعلاقات القوية التي ربطت عبر التاريخ(١٤).

ويوضح حديث المسعودي عن نسب اليونانيين إلى أبناء نوح (عليه السلام) عن تأثره بفكرة التوراة عن الأنساب التي تقول بأن سكان العالم ينحدرون من صلب أبنائه التلاتة سام، و يافث، وحام؛ مثلما يتبين منه أيضاً تفاوت الدارسين العرب بشأن نسبتهم إلى يافث أو إلى سام. كذلك فإنه يغلب على الحديث هنا طابع الرواية والتقرير؛ إذ إنه يكتفي بالإشارة إلى الآراء التي تجعل من "يونان" ابناً ليافث وتلك التي تجعله أحد أحفاده البعيدين. كما انه يسير أيضاً إلى الآراء التي تجعله أخاً لقحطان، ويبين أن سبب انفصاله عن دار أخيه كان سببه "الشك في الشكرة في النسب"، وتلك التي ترفض مثل هذه الأخوّة، مثلما يلحظ أن النسابين في شبة الجزيرة العربية لا يعرفون شيئاً عن يونان ولا عن أحفاده الذين أصبحوا مختلفين عن سكان الجزيرة اختلافاً بيّناً(١٥).

وفيما يتعلق بموطن اليونانيين وموقعهم الجغرافي فإن مؤرخنا واضح تمام الوضوح عندما يذكر أن بلادهم تقع إلى الغرب من شبه الجزيرة العربية وبلاد الشام، وأن عاصمتهم وأهم مدنهم عي اثينا، مدينة "الحكماء في ديار المغرب في صدر الزمان"، وإن لاحظ أيضاً في الوقت ذاته، في معرض حديثه عن هجرة يونان، أن موطنهم يقع في "أقاصي بلاد المغرب"، ومن مكانهم هذا استطاعوا أن يسيطروا في الأجيال التالية ليونان وبعد وفاة ابنه حربيوس [هكذا!] على "ديار المغرب من بلاد الفرنجة والنوكبرد [اللمبارديين] وأجناس الأمم من الصقالبة وغيرهم."[١٦] وهناك أيضاً ما يدل على أن معرفة مؤرخنا بجغرافية بلاد اليونان ذاتها كانت محدودة، ويتضح ذلك من إشارته إلى مقدونيا، التي تقع في شمال بلاد اليونان، والتي يذكر أنها مصر[١٧]، مثلما يتضح من إشارة له سابقة إلى البحار الواقعة إلى الشرق من بلاد اليونان[١٨].

الإسكندر الأكبر ووالده فيليب:

يُعد الإسكندر أول ملوك اليونانيين الذين تحدث عنهم المسعودي بشكل مفصل، على الرغم من أنه يلحظ أنه ليس أول ملوكهم. ويتميز حديثه عنه بتنويعه وتشعب موضوعاته، وبالقدر الذي يجعلنا نضيف إلى مقولة جواد على التي يذكر فيها أن أقدم من سُجل اسمه من اليونان في سجل العلاقات العربية اليونانية هو الإسكندر الأكبر"[١٩]، أنه كان أيضاً الملك اليوناني الوحيد الذي خصص له المؤرخون العرب فصولاً كاملة في مؤلفاتهم. كذلك فإنه يشتمل على إشارة إلى والد الإسكندر، وإلى فتوحات هذا القائد في فارس والهند، وإلى وفاته، وما كان من أمره مع حكماء الهند وعلمائها.

ويوضح مؤرخنا أن "أول من يعدّ من ملوك اليونانيين في التاريخ المقدر للحنفاء والقوانين والزيجات في النجوم وغيرها فيلبس أبو الإسكندر "وأنه" كان لليونانيين قبله ملوك سلفوا يُتنازع في أعدادهم وسماتهم ومدة ما ملكوا من السنين"[٢٠]. وبينما تردُ هذه الملاحظة في كتابه المختصر، فإنه يوضح في كتابه الآخر، والأسبق من حيث التأليف، المصدر الذي استقى منه بعض هذه المعلومات، حيث يقول: "وكان أول ملوكهم ممن سماه بطليموس في كتابه فليلبس". ويضيف المسعودي ما لديه من معلومات عن والد الإسكندر تعرفنا بالدلالة الأرستقراطية لاسمه، حيث يبين أنه يعني "محب الفرس"[٢١]، وأن هناك

روايات مختلفة بشأن الكيفية التي يُكتب أو يُنطق بها، ويضيف قائلاً: "وقيل إن اسمه يابس، وقيل فيلقوس"[٢٢]. ويتضح من مطالعة القراءة الأخرى البديلة لاسم "يابس"، والموجودة في أحد المخطوطات على أنه "ملبص"[٢٣]، ومن مقارنة هذه الصيغ، أن "فيلبس ويابس (ملبص) وفيلقوس" لا تعدو كونها مجرد صيغ مختلفة لاسم الرجل اليوناني. قيليبوس (Philippos) ، وأن هذا الاسم تعرض لدرجات متفاوتة من التحريف والتبديل على يد الكتبة والنسّاخين الذين تعوزهم الدقة في النقل والكتابة، والذين لا يعرفون اللغة التي نقل عنها هذا الاسم وغيره الكثير من الأسماء الغريبة عليهم. ولهذا فباستطاعتنا أن نفترض أن الصيغ التي عرّبت لهذا الاسم في كتابات المؤرخين العرب في تلك الآونة كانت في الأصل هي: "فيلبس، وفلبس، وفيلبوس"، على أساس أن الحروف اللينة القيصرة في اللغة اليونانية تكتب في اللغة العربية في شكل علامات تشكيل، وأن العربية تقتصر فقط على كتابته الحروف اللينة الممدودة.[٢٤]

أما مصدر المسعودي في معلوماته هذه فهو "بطليموس" الذي يشير إليه أيضاً على أنه "بطليموس القلوذى صاحب كتاب المجسطى وغيره من الكتب"[٢٥]. ويتضح من ذلك أنه استقر في نهاية الأمر على مناداته "بطليموس"، نظراً لأن هذه الصيغة وردت في كتابه الأخير، مثلما يتبين أيضاً أنه اقترب بعض الشئ من النطق الصحيح لاسم هذا العالم والجغرافي الذي ينطق في لغته اليونانية "بطوليمايوس" [٢٦]Ptolemaios . وتُعد مؤلفات بطليموس[٢٧] من أهم المصادر اليونانية القديمة التي اعتمد عليها مؤرخنا، كما يتضح من إشارته العديدة إليه في كتابه الأخير وحده. [٢٨]

كذلك فإنه استعان أيضاً ببعض الكتابات الأخرى لأحد علماء الإسكندرية في القرن الرابع الميلادي، وهو ثيون السكندري ، الذي يسميه ثاون الإسكندراني[٢٩]، والذي اقتبس منه عند تحديده للموقع الجغرافي لمدينة الإسكندرية في مصر. وأشار إلى قانونه في موضع آخر، موضحاً أنه يشتمل على بعض المعلومات التاريخية عن عدد ملوك اليونانيين وجملة ما ملكوا من السنين[٣٠]. ويوشح المسعودي الفارق بين الأعمال التاريخية لهذين الباحثين في معرض حديثه عن الفرس، حيث يقول: "وأرّخ بطلميوس صاحب كتاب المجسطىّ تاريخ كتابه عن عهد بخت نصر مرزبان المغرب، وأرّخ ثاون صاحب كتاب

القانون في النجوم من مملكة الإسكندر بن فيلبس المقدوني.[٣١]" مع ذلك، وعلى الرغم من أهمية الأسماء اليونانية التي يشير إليها مؤرخنا، وأهمية الأعمال التي كتبوها، فإن هذا الأمر، كما سنرى، لا يعني بالضرورة أن نقبل ما أورده على أنه يسجل بدقة دائماً ما ورد الأعمال أو على أنه يعطي صورة صحيحة لتاريخ اليونانيين بشكل عام.

إن ملاحظة المسعودي أن فيليب هو أول الملوك اليونانيين هي ملاحظة دقيقة نوعاً،ما من حيث إنها تبين أول الملوك اليونانيين المقدونيين المهمّين الذين نالوا شهرة كبيرة في تاريخ اليونان القديم. لقد استطاع الرجل أن يوحد بلاده وأن يفرض على دويلات المدن اليونانية وحدة سياسية فيدرالية جعلتها لأول مرة في تاريخها تخضع لسلطة مركزية واحدة، على الأقل فيما يتعلق بسياستها الخارجية[٣٢]. ومع ذلك فإن الإشارة إلى أن "مدة ملكه سبع سنين" وأنه "ملك سبع سنين"إشارة جانبها الصواب[٣٣]؛ إذ إن فيليب الثاني حكم مقدونيا من عام ٣٥٩ق.م حتى صيف عام ٣٣٦ق.م، وقضى بذلك في الحكم ما يقرب من ثلاثة وعشرين عاماً[٣٤]. ونستطيع أن نؤكد هنا على أن الخطأ في تحديد عدد السنين لا يرجع بطبيعة الحال إلى بطلميوس كلاوديوس أو إلى تيون السكندري، ونظراً لأنه لا سبيل إلى قراءة الترجمات التي اعتمد عليها المسعودي في هذه الحالة، فلا سبيل أيضاً إلى أن نعزو إليه هذا الخطأ. وينطبق هذا الأمر أيضا، كما سنرى، على سنوات الحكم التي يذكرها أمام الإسكندر وأمام الحكام اليونانيين التالين لهما.

وبالمقارنة بهذه الإشارة الموجزة عن فيليب فإن الحديث عن الإسكندر مفصل إلى حد كبير، ويرجع السبب في ذلك إلى فتوحات هذا القائد التي بدأت بها مرحلة جديدة في تاريخ العالم القديم. ففي أثناء هذه الفتوحات سار الإسكندر بقراته على حدود بلاد العرب الشمالية في فلسطين والشام والعراق، وكانت له جولات مع بعض القبائل العربية المقيمة في تلك المناطق. ونظراً لأنه قضى في أثنائها على الإمبراطورية الفارسية التي كانت أعظم الإمبراطوريات الموجودة في منطقة الشرق الأدنى القديم، فقد دانت بذلك كافة المناطق التي كانت تابعة لها، مثلما أنه وصل في فتوحاته إلى الهند، وبطبيعة الحال فقد كان لدى الفرس والهنود ما يرونه عن هذا القائد الذي تحول بمرور الوقت إلى شخصية أسطورية حتى بين أبناء جلدته أنفسهم.[٣٥] ويتبين من طبيعة المعلومات التي يوردها

المسعودي هنا عن الإسكندر. وبخاصة من تركيزه على أعماله في الهند وطرائفه مع حكمائها، أن مصادرها شرقية أكثر منها غربية، وأنها كانت فارسية وهندية منها يونانية.[٣٦]

كذلك فإن حديث مؤرخنا عن أصل الإسكندر يعكس أيضاً اهتمام المؤرخين العرب بالأنساب، وتفاوتهم بشأن انتمائه إلى يافث أو سام ابني نوح عليه السلام، أكثر مما يوضحه عن كونه مقدوني الأصل، وأنه أتى من شمال بلاد اليونان ، ويفتقر تماماً مثل حديثه عن أصل اليونانيين إلى الدقة. وكما هو واضح، فإن تفاوت النسابين بشأن أصله يقتصر على أجداده الأوائل، بل إنهم تفاوتوا أيضاً بشأن والده، ووصل الأمر ببعضهم إلى جعله من ولد قحطان، ومن سلالة التبابعة حكام حمير[٣٧]. واتسع التفاوت كذلك ليشمل مسألة كونه ذا القرنين الذي أشار إلية القرآن الكريم، وليشمل السبب في إطلاق هذا اللقب عليه. وبعد أن يشير المسعودي إلى "تنازع الناس" بشأن المسألة الأولى، فإنه ينتقل بعدها إلى الإشارة أقوال بعض الصحابة في تفسير لقب "ذو القرنين"، ويكتفي هنا بعرض الآراء التي قيلت عن نسبه، وعن كونه ذا القرنين، وعن السبب وراء هذا اللقب، دون رأيه في أيّ منها.[٣٨]

ويشير المسعودي إلى الحروب التي دارت بين الإسكندر وبين الفرس، والتي يرجع سببها إلى رفضه التبعية لهم[٣٩]. وتشمل هنا على العديد من النقاط التي يمكننا من خلالها إدراك حدود إلمام المسعودي بموضوعه. فالحروب الفارسية التي تشير إليها والتي وصل فيها الفرس إلى بلاد اليونان حدثت في جولتين في أوائل القرن الخامس قبل الميلاد، كانت أولاهما عام ٤٩٠ق.م، وآخرهما عام ٤٨٠ق.م، وانتهت بعودتهم دون أن يتمكنوا من احتلال بلاد اليونان الأصلية.[٤٠] وكان ملك الفرس في الجولة الأولى هو دارا الأول، بينما كانت الجولة الأخيرة تحت قيادة ابنه خشيار شاي، الذي عرفه اليونانيون باسم اكزركسيس (Xerxes). وكما هو واضح فقد خلط المسعودي بين الملوك البابليين وبين الملوك الفرس عندما جعل قائد الحملة الفارسية على بلاد اليونان هو بختنصّر[٤١]. حقيقة إن نفوذ الفرس استمر قائما بدرجات متفاوتة من القوة في منطقة غرب آسيا الصغرى التي كانت توجد بها عندئذ بعض دويلات المدن اليونانية، ولكن "الخراج" الذي

يشير إليه المسعودي ربما يمكن فهمه بدلالة رمزية وبشكل أدق على انه يشير إلى هذا النفوذ. بالإضافة إلى ذلك فإن حملات الإسكندر، التي بدأت عام ٣٣٤ ق.م، أعقبت الحروب الفارسية بحوالي قرن ونصف من الزمان.[٤٢] ولهذا باستطاعتنا أن نلحظ أن دافع الثأر من الفرس، أو رفض الإسكندر التبعية لهم (وبشكل أدق: تبعية بعض دويلات المدن اليونانية الموجودة في آسيا الصغرى لهم)، لم يكن السبب المباشر ، أو على الأقل ليس السبب الوحيد وراء الجولة الجديدة من الحروب.[٤٣]

لقد انتهت حملات الإسكندر بالقضاء على الإمبراطورية الفارسية، وببسط نفوذه على غالبية أرجاء المناطق التابعة لها. ويميز المسعودي هنا بين حكام الشام والعراق الذين أخضعهم الإسكندر وبين دارا ملك الفرس والذي يذكر أن مقتله كان على يد هذا القائد. ولا نملك هنا سوى أن نتساءل عن مدى دقة مؤرخنا في روايته لخبر مقتل دارا، وعما إذا كان يريد منا أن نركز بدرجة أكبر على دلالته الرمزية. إننا نعرف من بعض المصادر الأخرى المعاصرة للأحداث أن الإسكندر برئ من دم دارا الذي قتل على يد بعض أتباعه بعد هزيمته في العديد من المواقع وبعد فشله في الدفاع عن عاصمته واضطراره إلى التقهقر عدة مرات.[٤٤] حقيقة إن المسعودي يقدر لهذا الخبر بكلمته المعتاد، "وقد قيل". ولكنه لم يحدد مصادره في هذا الموضع، مثلما أنه لم يذكر بعض الروايات الأخرى، والأكثر دقة، لهذه الحادثة والتي كانت أيضاً معروفة لبعض المؤرخين العرب الآخرين.[٤٥]

ويوجز المسعودي الحديث بعد ذلك عن أعمال الإسكندر في فارس بعد مقتا دارا، قائلاً إنه: "تزوج بابنة ملكها بعد أن قتله"، رتب الرجال والقواد فيما افتتح من ممالك، وأنه كوّر بخراسان كوراً، و بنى مدناً في سائر أسفاره"[٤٦]. ويعرفنا باسم هذه الأميرة وأنها "روشنك بنت دارا ملك فارس" عندما أشار إلى كلمتها في معرض حديثه عن تأبين الحكماء له بعد وفاته وأمام جثمانه، والتي قالت فيها:"ما كنت أحسب أن غالب دارا الملك يُغلب"[٤٧]. ويستخدم المسعودي هنا في تسمية الولايات أو الأقاليم في خراسان وغيرها من المناطق المفتوحة الاسم الذي كان شائعاً في وقته، وهو كوراً (جمع كلمة كُوره)، وهو اسم يرجع في صيغة المفرد إلى الكلمة اليونانية خوره (αρώχ) التي تعني مكان أو أرض أو إقليم. ويلحظ مؤرخنا كذلك ظاهرة عُرفت عن الإسكندر وهي

تأسيسه للمدن وتوطينه لبعض الجنود فيها، وإن كان لا يذكر أن هذه المدن كانت تحمل اسمه في البداية؛ لأن العديد منها كانت قد تغيرت أسماؤها عبر القرون التي أعقبت وفاة هذا القائد.(٤٨)

ويتطرق حديث المسعودي بإيجاز إلى ما كان من حروب الإسكندر في الشرق.(٤٩) وباستثناء بعض المبالغة الواردة في هذا الحديث وبخاصة في تصويره لمسيرة فتوحات الإسكندر ووصوله إلى الصين والتبت، وأنه غير دقيق في تحديده لاتجاه فتوحاته، فإنه يوضح أن نفوذه كان قوياً في المناطق التي فتحها والتي خضع له ملوكها، بل إن النفوذ اليونانيّ استمر فيها لعدة قرون بعد وفاته(٥٠). كذلك فإن الإشارة إلى ما كان من صراعه مع الملك الهندي فور، الذي عرفه اليونانيون باسم بوروس (Poros)، تشير إلى واحدة من أقسى المواجهات التي شهدها هذا القائد في الهند، ولكنها تتصف بعدم الدقة في تصويرها لنهاية الملك الهندي الذي يكرر المسعودي في موضع آخر أنه قُتل على يده.(٥١)

ومن الأمور التي يتوقف عندها المسعودي بشئ من التفصيل وفاة الإسكندر وما حدث في مراسم دفنه. إنه يذكر أن وفاته حدثت بعد عودته من الهند، وأن الآراء تتفاوت بشأن المكان الذي قضى فيه قائلاً: "فلما صار إلى مدينة شهرزور اشتدت عليه علته . وقيل: ببلاد نصيبين من ديار ربيعة، وقيل: بالعراق، فعهد إلى صاحب جيشه وخليفته على عسكره بطليموس."(٥٢) وهنا أيضاً فإن المصادر اليونانية تزودنا بمعلومات أدق عندما تشير إلى أنه مرض بالحمى في بابل لعدة أيام، ثم قضى بعدها في العاشر من يونيو عام ٣٢٣ق.م(٥٣)، كمان أن بطليموس الذي يشير إليه كان مجرد واحد من هؤلاء القادة، وكان هناك وقتئذ من ا لقادة الآخرين من يفوقه مترلة ومكانة.(٥٤) ولعل السبب الذي جعل المسعودي يذكره على وجه التحديد هو أن ترتيبه، كما سنرى، يلي الإسكندر في قائمة الملوك اليونانيين الذين يشير إليهم .

وبعد أن مات الإسكندر وُضعَ "في تابوت من الذهب مرصع بالجوهر، بعد أن طُلي جسمه بالأطلية الماسكة لأجزائه". وطافت به الحكماء "ممن كان معه من حكماء اليونانيين والفرس والهند، وغيرهم من علماء الأمم، وكان يجمعهم، ويستريح إلى كلامهم ولا يصدر الأمور إلا عن رأيهم"(٥٥). وقام كل من هؤلاء الحكماء بناء على طلب من

"كبيرهم والمقدم فيهم" وتكلم بكلام يهدف إلى "تعزية الخاصة ووعظ العامة". وقد سجل المسعودي أقوال هؤلاء الحكماء الذين اشتملوا على "صاحب خزانة كتب الحكمة"، و "صاحب مائدته"، و "صاحب بيت ماله"، و "خازن من خزّانه"، والذين بلغ مجموعهم ثمانية وعشرين، ثم أضاف إليها ما قالته زوجته ابنة دارا، وما قالته والدته حينما جاءها نعيه: "لئن فُقِدَ من ابني أمره، فما فُقِدّت من قلبي ذكراه"[٥٦]. ثم أوضح مؤرخنا بعد ذلك أن الإسكندر كان قد "عهد إلى وليّ عهد بطليموس بن أريت أن يحمل تابوته إلى والدته بالإسكندرية"، وأوصاه أن يجعلها تقيم زليمة لا يأتي إليها من "فقد محبوباً أو مات له خليل"، وهو الأمر الذي استحسنته والدته بعد ذلك عندما لم يأت إليها أحد لتعزيتها، وقالت: "لقد عزّاني ولدي أحسن العزاء". ثم يضيف السعودي بعد ذلك أن والدة الإسكندر أمرت بجثمانه:

فجُعل في تابوت من المرمر، وطُلي بالأطلية الماسكة لأجزائه، وأخرجته من الذهب ؛ لعلمها أن من يطرأ بعدها من الملوك والأمم لا يتركونه في ذلك الذهب، وجعل التابوت المرمر وأحجار نُضّدت، وصخور نُصبت، من الرخام والمرمر قد رصفت. وهذا الموضع من الرخام والمرمر باق ببلاد الإسكندرية من أرض مصر يُعرف بقبر الإسكندر إلى هذا الوقت.[٥٧]

وتعرفنا المقارنة بين ما يذكره المسعودي عن وفاة الإسكندر وبين ما نعرفه من المصادر اليونانية القديمة بمقدار ما لحق بسيرته من تغيير وتبديل عبر العصور والثقافات المختلفة. حقيقة إن جسده قد تم تحنيطه وتجهيزه للدفن، وإنه دفن في مدينة الإسكندرية التي أقامها من مصر، وإن ذلك كان بتدبير بطليموس الذي اعترض موكب الجنازة في شمال سوريا وجعله يتجه إلى مصر بدلاً من مقدونيا. وحقيقة كذلك إن جثمان الإسكندر قد تم نقله من التابوت الذهبي الذي كان مدفوناً فيه، إلى تابوت آخر من المرمر. ولكن بطليموس الذي قام بدفنه في الإسكندرية هو ابن لاجوس وليس ابن أريت[٥٨]، مثلما أنه قام بهذا العمل بمبادرة منه، ومعارضاً بذلك بقية القادة وعلى رأسهم برديكاس، الذي كان يريد له أن يُدفن في عاصمته المقدونية بيدنا.[٥٩] كذلك فإن نقل الجثمان من تابوته الذهبي إلى تابوت من المرمر لم يكن بمبادرة من أوليمبياس والدته التي كانت تقيم في مقدونيا

وليس في الإسكندرية. ولكنه حدث بعد وفاته بما يزيد عن قرنين من الزمان، وكان ذلك على يد الملك بطليموس العاشر الذي احتاج إلى ذهب التابوت لكي يدفع أجور بعض جنوده المرتزقة[٦٠]. الأمر الأخير الذي يسترعى الانتباه في هذا الحديث، هو ما يذكره المسعودي عن تأبين الإسكندر بواسطة الحكماء، وما يرويه عن وصيته لوالدته. فبالإضافة إلى أننا لا نجد لهذا الأمر ذكراً في المصادر القديمة والمعاصرة للأحداث[٦١]، يمكننا أن نلحظ أيضاً أنه يغلب عليه الطابع الأخلاقي والفلسفي، وربما أن شخصية هذا القائد واهتمامه بالحكماء كانا سبباً وراء إضافة مثل هذه الروايات وغيرها.

وتتوافق رواية المسعودي لوفاة الإسكندر في طابعها الفلسفي والأخلاقي مع ما يذكره في الباب الذي خصصه بعد ذلك لذكر "جوامع من حروب الإسكندر بأرض الهند". ففي هذا الباب لا يتعدى الحديث عن الحروب السطور الأولى لينتقل بعدها إلى مناقشة ما كان من حوار بين الإسكندر وبين بعض فلاسفة الهند وعملائها. ومن الطريف أن هذه السمة الطاغية على الباب قد جعلت أحد النسّاخين يغير العنوان في مخطوطة إلى "جوامع من أخبار جرت للإسكندر بأرض الهند".[٦٢] ويدرك مؤرخنا ذاته طبيعية حديثة فيا لكلمة التي يختتم بها هذا الجزء من كتابه حيث يقول إنه ذكر مثل هذه الأقاصيص "لئلا يَعْرَى كتابنا من شيء منها مع ذكرنا لميسره ووفاته".[٦٣]

وفي الحقيقة فإن تنشئة الإسكندر وتتلمذه على يد أرسطو[٦٤] كان لهما أثرهما على شخصيته، وتجلى هذه الأثر في اهتماماته والفلسفية وفي مسيرة فتوحاته، حتى إن المصادر اليونانية القديمة ذاتها تشير إلى بعض المحاورات التي دارت بين هذا القائد وبين بعض الحكماء الهنود.[٦٥]ويعرفنا التفاوت الموجود بين الروايات اليونانية لهذه المحاورات وبعضها البعض من ناحية، وبينها وبين رواية المسعودي من ناحية أخرى، أننا لا نستطيع أن نقبل أياً منها على أنها تصور حقيقة ما جرى في اللقاءات التي جمعت بين الإسكندر والحكماء المشاء إليهم.

وختاماً لهذه المناقشة لما يورده المسعودي عن الإسكندر نلحظ أنه يذكر أنه توفى وهو "ابن ست وثلاثين سنة، وكان ملكه تسع سنين قبل قتله لدارا بن دارا، وست سنين بعد قتله لدارا بن دارا، وتملكه على سائر ملوك الأرض. وملك وهو ابن إحدى وعشرين

سنة.[٦٦] ويكرر مؤرخنا الإشارة إلى هذه السنوات مرة أخلى في كتابه الأخير، وإن كان يلحظ هنالك "تنازع في مدة ملكه بين المجوس والنصارى وغيرهم،"وأنه" أفضى الملك إليه وله ست وثلاثون سنة، والعوام تكثر من سنيه، وهذا هو المعـــول عليـــه".[٦٧] وتتميـــز ملاحظة المسعودي هنا بالاقتضاب وأنه لا يشير إلى الآراء الأخرى، مقتصراً علـــى مـــا يطمئن إليه. ولأن ما يعَوّل عليه هنا لا يطابق حقيقة الأمر، فإن المرء يود أن يعرف الآراء المتنازعة التي تشير إليها والتي أغفل ذكرها. ففي مقابل ما يذكره من سنوات يمكننـــا أن نتوقف عند ما يذكره أريانوس، الذي اشتهر بلقب مؤرخ الإسكندر بسبب كتابه عـــن حملات هذا القائد، عن سنوات حكمه. إنه يوضح أن الإسكندر "عاش اثنتين وثلاثـــين عاماً وثمانية أشهر، وأنه حكم لمدة اثني عشر عاماً وثمانيـــة أشـــهر."[٦٨] وإذا أخـــذنا في اعتبارنا أن الإسكندر ولد في صيف عام ٣٥٦ق.م، وأنه تولى الحكم عام ٣٣٦ق.م، بعد وفاة والده، وأنه توفى في صيف عام ٣٢٣ق.م،[٦٩] فسوف يتضح عندئذ أنه تولى الحكم وعمره عشرون عاماً، وأنه توفى وعمره حوالي الثالثة والثلاثين عاماً إلا قليلاً. وبالنظر إلى أن وفاة دارا كانت في صيف عام ٣٣٠ق.م،[٧٠]فإن مدة حكمه قبل وفاته ستصبح ست سنوات، وما تبقى له في الحكر بعدها لن يتعدى بأية حال السبع سنوات. ولأن الوفـــاة تشكل عنصراً مهماً في مناقشة المسعودي لمدة حكم الإسكندرية، يمكننا أن نستشعر هنـــا أنه اعتمد في حسابها على روايات فارسية ربما تفتقر إلى الدقة. ربما أن الفروق هنا ليست كبيرة كما كان الحال في حساب سنوات حكم والده، ولكن السمة العامة أنه لا يمكـــن التعويل. بشكل عام، على ما يورده عن سنوات حكم الملوك الذين أشار إليهم بعد ذلك في تاريخه.

الملوك البطالمة:

اشتهر حكام مصر اليونانيون في ثلاثة قرون التي أعقبت وفاة الإسكندر الأكـــبر بأنهم حملوا جميعاً اسماً واحداً هو بطلميوس. ويلحظ المسعودي ذلك حيث يشـــير إلى أن "كل ملك يملك على اليونانيين بعد الإسكندر بن فيلبس [كان] يســـمى بطليمـــوس، و [كان] هذا الاسم الأعم الشامل لملكهم"، مثل لقب كسرى عند ملوك الفرس، وقيصـــر عند حكام الرومان، وتُبع عند ملوك اليمن، والنجاشي عند ملوك الحبشة.[٧١] ومع ذلـــك

فإنه، وهو الذي أشار قبل ذلك إلى مقدونيا على أنها مصر،لا يميز بين حكام مصر وبين الملوك اليونانيين من حكام المناطق الأخرى التي انقسمت إليها إمبراطورية الإسكندر. إنه يشير إلى حكام سوريا وإلى أنطاكية التي يعلق قائلاً إنها حملت اسم مؤسسها أنتيوخوس، الذي يشير إليه على أنه أبطنجنس، وأنها كانت مقراً لحكمه،(٧٢) ولكنه لا يَعُدّه من هؤلاء الملوك اليونانيين. ولهذا فإن أول ما نلحظه على هذا الحديث الذي جعل له مرة عنواناً "ذكر ملوك اليونانيين بعد الإسكندر"، ومرة أخرى "ذكر ملوك اليونانيين ومدة ما ملكوا من السنين" أنه لا يشير إلى حكام بقية الممالك الهللينستية الأخرى، مثل المملكة السليوقية في الشام، والمملكة الأنتيجونية في مقدونيا، وغيرهما من المماليك الأقل شأناً في آسيا الصغرى، على الرغم من كونها ممالك يونانية، وعلى الرغم من كون حكامها مقدونيين. وفيما عدا هذه الملاحظة المبدئية فإن حديثه هنا يشتمل على ثلاثة نقاط رئيسية هي: مايشير إليه من أعداد الملوك ومجموع سنوات حكمهم وعدد سنوات حكم كل منهم؛ ثم ألقابهم التي ميزتهم عن بعضهم البعض، ثم أعمال أكثرهم أهمية.

وفيما يتعلق بأعداد الملوك وسنوات حكمهم فإن مؤرخنا يوضح في واحد من كتابيه أن الذي:"يعول عليه من عدد ملوكهم، واتفق على ذلك أهل المعرفة بأخبارهم، أن جميع عدد ملوك اليونانيين أربعة عشر ملكاً، أخرهم قلبطرة، وأن جميع عدد سني ملوكهم ومدة أيامهم وامتداد سلطانهم ثلاثمائة سنة وسنة واحدة."(٧٣) وبينما لا يحدد المسعودي هنا "أهل المعرفة" الذين يعنيهم، ويكتفي "ما يعول عليه"، فإن حديثه لا يخلو من طرافة عندما ندرك أنه يناقض نفسه، أو لعله يصححها، في كتابه الأخير. حيث يؤكد أن "عدد ملوك اليونانيين في فيلبس أبى الإسكندر إلى قلوبطرة أخرهم ستة عشر ملكاً، وجملة ما ملكو من السنين مائتا سنة وثلاث وتسعون سنة، وثمانمائة عشر يوماً". وبعد أن يوضح أن معلوماته هنا مستمدة من "قانون ثاون الإسكندراني وغيره"، يضيف بعد ذلك مبيناً أن هناك آراء أخرى؛ إذ إنه:"ذهب قوم ممن عنى بأخبار سير الملوك وتواريخ الأمم إلى أن عدة ما ملكوا من السنين ثلاثمائة سنة وثلاث سنين، وقيل في عدة ملوكهم ومدة سنيهم أكثر من ذلك وأقل، غير أن الأشهر ما ذكرناه .(٧٤)

ذكر ملوك اليونانيين في كتب المسعودي

وتوضح النظرة إلى قوائم الملوك الذين أشار إليهم المسعودي في كتابيه أن هناك مشكلة تتعلق بعددهم، الذي أشار إليه مرة على أنه أربعة عشر، ومرة أخرى على أنه ستة عشر. حقيقة إن جملته في "التنبيه والإشراف" التي يذكر فيها أن ملوك اليونانيين " من فيلبس أبي الإسكندر إلى قلوبطرة آخرهم ستة عشر ملكاً" أكثر دقة، من حيث إنها تحدد أول هؤلاء الملوك وآخرهم، ولكن قوله " إلى قلوبطرة"، ينبغي فهمه على أنه " حتى قلوبطرة" ليتوافق العدد المذكور في هذه القائمة مع المجموع الذي يشير إليه. إن مجموع الحكم البطالمة هو ستة عشر حاكماً، ابتداءِ ببطليموس الأول وانتهاء بكليوباترا السابعة. ولكن نظراً لأن بطليموس السابع توفي وهو طفل، [٧٥] ولأن كليوباترا السابعة كانت الحاكمة الفعلية وكان ابنها بطليموس الخامس عشر مجرد طفل عندما أعلنته ملكاً،[٧٦] فإن قائمة الحكام البطالمة الفعليين يمكن أن تشتمل فقط على أربعة عشر حاكماً. وفي الحالتين فإن مجموع " الملوك اليونانيين" الذي يورده مؤرخنا يمكن أن يشير فقط إلى الملوك البطالمة.

وبالمقارنة بمشكلة عدد الملوك، فإن مسألة مجموع سنوات حكمهم، المرتبطة بها، تبدو أكثر تعقيداً. لقد أشار المسعودي مرة إلى أن مجموع سنوات حكمهم هو ٣٠١ عاماً، ومرة ثانية أنه ٢٩٣ عاماً وثمانية عشر يوماً، ومرة ثالثة أنه ٣٠٣ عاماً، بالإضافة، بطبيعة الحال، إلى ما لم يذكر من أقول أخرى أُل شهرة مما أشار إليه. وإذا ما حسبنا مجموع السنوات الفعلية التي ذكرها أمام قائمة الملوك في كتاب "مروج الذهب ومعادن الجوهر" فسوف نجد أنها ٣٦٨ عاماً (مع حساب السنوات الأقل لحكم بطليموس الأول وبطليموس الثاني) مقابل ٣٠١ عاماً في كتاب " التنبيه والإشراف" وسيتضح من ذلك أن المسعودي ذكر في الكتاب الأخير مجموع السنوات الذي يتطابق مع الرقم الذي سجله في الكتاب الأول. وسيتضح كذلك أن كافة الأرقام التي أوردها لمجموع سنوات حكم الملوك (البطالمة) اليونانيين مجافية للحقيقة، باستثناء ما ذكره من أن هذا المجموع هو ٢٩٣ عاماً وثمانية عشر يوماً. بل إن هذا الرقم لن يكون صحيحا إلا إذا فهمناه على أنه يشير إلى حكم الملوك البطالمة وحدهم، تماماً كما كان الحال مع أعداد الملوك.

لقد أتى بطليموس الأول إلى مصر عما ٣٢٣ ق.م بوصفه ساترابا. أو ممثلاً للسلطة المركزية في الإمبراطورية. وفي عام ٣٠٥ ق.م أعلن نفسه ملكاً، وحكم حتى توفي عام

٢٨٣ ق.م[٧٧] بعد أن أشرك معه في الحكم ابنه بطليموس الثاني في العامين الأخيرين من حياته.[٧٨] ولهذا فإن لدينا تاريخين نستطيع أن نبدأ معهما الحكم البطلمي في مصر، وأن نفسر بهما في الوقت ذاته التفاوت الكبير الذي لاحظه المسعودي في مدة حكم بطليموس الأول، التي ذكر البعض أنها أربعون سنة (٣٢٣ – ٢٨٣ ق.م)، بينما أشار البعض الآخر إلى أنها عشرون سنة (٣٠٥- ٢٨٥ق.م).

وعلى ما يبدو فإن المسعودي في حسابه لمدة الحكم البلطمي في كتابه "التنبيه والإشراف" رجع إلى قائمة تبدأه بعام ٣٢٣ ق.م. ونظراً لأن هذا الحكم انتهى عام ٣٠ ق.م، فإن مرحلة استمراره ستوافق عندئذ مع ما يشير إليه من أن مدته كانت ٢٩٣ عاماً وثمانية عشر يوماً.

من ناحية أخرى باستطاعتنا أن نلحظ أن مجموع السنوات، الذي ذكره مرة على أنه ٣٠٣ عاماً ومرة أخرى على أنه ٣٠١ عاماً، ليس بعيداً تماما عن الواقع التاريخي. ربما أنه لا ينطبق على مدة حكم البطالمة في مصر. ولكنه يمكن أن يشير إلى المدة التي وقعت فيها البلاد تحت النفوذ اليوناني. لقد أتى الإسكندر بقواته إلى مصر في خريف عام ٣٣٢ ق.م.، وغادرها في ربيع العام التالي متجهاَ إلى الشام والعراق لمواصلة حملاته لتحقيق الهدف الذي خرج من أجله من بلاد اليونان[٧٩].

ومنذ ذلك التاريخ بدأت البلاد تدور في فلك العالم اليوناني، حتى مجيء الرومان عام ٣٠ ق.م.[٨٠] وبمقارنة مجموع السنوات المشار إليه في الحالتين بالمد ة الواقعة بين فتح الإسكندر للبلاد عام ٣٣٢ (أو حتى مغادرته لها عام ٣٣١ ق.م) وبين هزيمة كليوباترا وأنطونيوس في موقعة أكتيوم عام ٣١ ق.م. أو حتى فتح الرومان لها في العام التالي، فإن كلا منهما يمكن أن يشير إلى فترة نفوذ اليونانيين في مصر بالمقارنة بما سبقها وما أعقبها من مراحل، مثلما يمكن أن يبرر نوعاً ما اشتمال قوائم الحكام التي رجع إليها المسعودي إلى الإسكندر الأكبر.[٨١]

وترتبط بمشكلة عدد الحكام البطالمة "اليونانيين"، وبمسألة مجموع سنوات حكمهم، مشكلة ثالثة تتعلق بسنوات كل منهم. وتبين المقارنة بين ما يذكره المسعودي على أنه سنوات حكم هؤلاء الملوك أن هناك تفاوتاً كبيراً بين ما يذكره أمام كل منهم في كل من

الكتابين. وتزودنا هذه المقارنة بفكرة عن حجم ذلك التفاوت الذي يعكس في هذه الحالة مدى التغيير والتبديل الذي لحق بتلك المعلومات في أثناء عملية النقل والترجمة عن المصادر القديمة. وربما أكثر مما يوضحه عن التفاوت بين هذه المصادر. ويتبين منها أيضاً أن هناك فروقاً كبيرة في سنوات الحكم بين "مروج الذهب ومعادن الجوهر" و " التنبيه والإشراف"، وبين السنوات الفعلية للملوك البطالمة. ويتبين هنا أن كتاب " مروج الذهب ومعادن الجوهر"، أقرب إلى الدقة فيما يتعلق بسنوات حكم كل ملك على حدة، بينما يتميز " التنبيه والإشراف" بأنه أقرب إليها فيما يتعلق بعددهم وبمجموع سنوات حكمهم.(٨٢)

أما ثاني النقاط التي يمكن تمييزها في الحديث عن الملوك اليونانيين بعد الإسكندر فتتعلق بالألقاب التي حملها كل منهم. لقد كانت لهذه الألقاب، بطبيعة الحال، ضرورتها العملية خاصة وأن هؤلاء الملوك حملوا جميعاً اسماً واحداً أصبح في القرون التالية مميزاً لحكام مصر بين بقية الممالك الهللينستية الأخرى. (٨٣)والملاحظ أن الحديث هنا يقتصر على الألقاب الرسمية لهؤلاء الملوك ولا يتطرق إلى الألقاب الشعبية التي أطلقتها عليهم رعاياهم. وهنا أيضاً تساعدنا المقارنة بين الألقاب الواردة بكتابي المسعودي وبين الألقاب التي حملها هؤلاء الحكام على التعرف على مدى دقة قوائمه. ويتبين كذلك أن التفاوت بين الألقاب المذكور في " مروج الذهب ومعادن الجوهر"، وبين تلك الواردة في " التنبيه والإشراف" يشمل كافة الملوك البطالمة باستثناء بطليموس الثالث. (٨٤) أما إذا قارنا بين الألقاب الواردة في الكتاب الأول وبين الألقاب الفعلية لهؤلاء الملوك فسنجد أن هناك تطابقاً فقط في حالة ستة ملوك هما بطليموس الثالث والرابع والسادس والسابع والثامن والتاسع.(٨٥) ولأن نسبة التطابق تقتصر في حالة الألقاب الواردة بقائمة " التنبيه والإشراف" على حالة واحدة فقط هي بطليموس الثالث، فإنه يتضح هنا أيضاً أن كتاب "مروج الذهب ومعادن الجوهر" الذي كانت سنوات حكم الملوك فيه أكثر دقة من " التنبيه والإشراف"، هو أيضاً أكثر دقة فيما يتعلق بألقاب الملوك البطالمة.

الأمر الأخير الذي يسترعى الانتباه في هذا الموضوع هو التغيير في دلالة لقب "يورجيتيس"، التي تغيرت على يد المترجمين من اليونانية إلى العربية. إن كلمة

"ευεργετση" تشتمل على بادئة "υε" بمعنى " جيد" أو "حسن" وكلمة " σηταγρε "، التي هي اسم الفاعل من الفعل " ωγρε"، الذي يعني: يصنع أو يعمل.

وبطبيعة الحال فإن السياق الذي وردت فيه الكلمة حال كونها لقباً للملوك البطالمة يركز بالضرورة على ما قاموا به من أعمال خيرية تجاه رعاياهم. وما نشهده في دلالة الكلمة الواردة في كتابات المسعودي هو أن المترجم، الذي لم يلحظ الدلالة الخاصة للقب، ترجم الكلمة بمعناها الحرفي، فأصبح التركيز فيها على البراعة في العمل وليس على طبيعته أو نوعيته، فأصبحت مرة "الصانع" ومرة أخرى " الأريب." كذلك نستطيع أن نلحظ زلة المترجم في تعريبه في إحدى المرات للقب الإسكندر على أنه الإسكندراني في كتاب "مروج الذهب ومعادن الجوهر"، فنسب حامله بذلك إلى المدينة وليس إلى الإسكندر الأكبر، على الرغم من أنه استخدم الصيغة الصحيحة في وصفه للملك السيلوقي بأنه " الإسكندروس".[٨٦] والأمر ذاته ينطبق على كلمة نيوس "ενοσ" التي ترجمت مرة "الجديد" ومرة أخرى "الحديث"، على الرغم من أنها تعني في هذا السياق "الصغير". ويتبين خطأ الترجمة كذلك في كتابه للقب بطليموس الثاني عشر الوارد في كتاب " التنبيه والإشراف" على أنه " ديونيسيوس" وهو اسم كان يُنادى به البشر العاديون، بالمقارنة باسم "ديونيسوس" (الذي لا يشتمل على الياء التي تعقب السين) الذي كان يُنادى به الإله.

وفيما يتعلق بالنقطة الثالثة والأخيرة في حديث المسعودي عن الملوك البطالمة، وهي أعمال هؤلاء الحكام، يمكن ملاحظة أنه اقتصر على أعمال أربعة منهم بقدر متفاوت من التفصيل، وهم بطليموس الأول والثاني والرابع وكليوباترا السابعة، مثلما أن معظم الحديث عن هذه الأعمال ورد في كتابه الأول ، "مروج الذهب ومعادن الجوهر" . بمقارنة معلوماته هنالك بما ورد في " التنبيه والإشراف" يمكن القول إن هذا الكتاب لا يشتمل إلا على مجرد قائمة بأسماء هؤلاء الملوك وألقابهم. إنه يشير فقط إلى بطليموس الثاني الذي ترجمت في عهده التوراة من العبرية إلى اليونانية وإلى أنه ترجمها "اثنان وسبعون حبراً بالإسكندرية من بلاد مصر،" بل إن حديثه عن هذه الترجمة لا يعرفنا بظروفها ولا بالدافع من ورائها، وينتقل مباشرة إلى توضيح أن هذه النسخة اليونانية ترجمت إلى العربية على

حنين ابن إسحاق، وأن هناك بعض الترجمات العربية الأخرى للتوراة، وأن فرق الإسرائيليين يتفاوتون في الأخذ بأي من الترجمتين. ويختتم المسعودي حديثه عن الملوك اليونايين في " التنبيه والإشراف" بتصحيح معلومة خاطئة وردت في كتابه الأول. وتتعلق ببطليموس القلوذي، الذي أشار إليه هنالك على أنه أحد الملوك البطالمة، إنه يوضح الأمر قائلاً: "وليس بطليموس القلوذي صاحب كتاب المجسطي وغيره من الكتب من هؤلاء البطليموسيين و لم يكن ملكاً.[٨٧]

ونعرف من المعلومات الواردة في كتاب "مروج الذهب ومعادن الجوهر" أن بطليموس الأول كان "حكيماً عالماً سائساً مدبراً وأنه كانت له حروب مع بني إسرائيل وغيرهم من ملوك الشام." وفيما عدا ذلك فإن الخبر الأهم بالنسبة لمؤرخنا هو أن بطليموس هذا هو أول من اقتنى البزاة، وهو نوع من الطيور، ويستطرد في حكاية قصة أو نادرة طريفة تفسر ذلك.[٨٨] أما حديثه عن بطليموس الثاني فيشتمل على إشارة موجزة إلى أنه ظهرت في أيامه "عبادة التماثيل والأصنام" ولعل مصدره يعني بذلك تأسيس هذا الملك للعبادة الملكية البطلمية. كذلك فإنه يشير بإيجاز إلى أنه "غزا بني إسرائيل ببلاد فلسطين، وإيليا من أرض الشام، فسباهم وقتل منهم، وطلب العلوم، ثم رد بني إسرائيل إلى فلسطين، وحمل معهم الجواهر والأموال، وآلات الذهب والفضة لهيكل البيت المقدس."[٨٩] وتكتسب عبارة "وطلب العلوم" دلالة خاصة في ضوء ما نعرفه من اهتمام هذا الملك أيضاً بمكتبة الإسكندرية وبالموسيون، أو متحف الفنون الموجود بالمدينة، ومن أنهما شهدا ازدهاراً كبيراً في عهده. أما بطليموس الرابع، المعروف بالمحب لأبيه، فإن المسعودي يشير إلى أهم أعماله قاطبة عندما يذكر أنه كانت له "حروب مع ملوك الشام" وصاحب مدينة أنطاكية الإسكندروس."

والإشارة هنا إلى موقعة رفع التي حدثت عام ٢١٧ ق.م. بين بطليموس الرابع وأنتيوخوس الثالث الذي يشير إليه المسعودي على أنه يحكم مدينة أنطاكية. والذي كان لقبه بالفعل يشبهه بالإسكندر. لقد كانت نتيجة هذه المعركة حاسمة لأنها احتفظت لمصر بسيطرتها على سوريا الخالية طوال الأعوام المتبقية من القرن الثالث قبل الميلاد.[٩٠]

ويتشابه حديث المسعودي في "مروج الذهب ومعادن الجوهر" عن أعمال كليوباترا، من حيث طابعه الأخلاقي والفلسفي، مع حديثه عن الإسكندر الأكبر، ويبدأ الحديث بتوضيح أنها كانت "حكيمة متفلسفة، مقربة للعلماء، وأن لها كتب مصنفة في الطب والرقية وغير ذلك من الحكمة، مترجمة باسمها، منسوبة إليها، معروفة عند صنعة أهل الطب.[٩١] وفي الحقيقة فإن هذه المعلومات التي تستند إلى الواقع في بعض جزئياتها تعتمد على ما كان معروفاً عند هذه الملكة من حنكة ودهاء سياسيين، ومن اهتمام بالأدب والمعرفة.[٩٢] ولكنها، مع ذلك، توضح لنا أن كليوباترا تحولت مع مرور الوقت ، مثل الإسكندر، إلى أسطورة تاريخية. وفيما عدا هذا فإن الحديث هنا يقتصر بعد ذلك على أمرين: أولهما، الصراع الذي دار بينها وماركوس أنطونيوس من جانب، وبين أوكتافيانوس في الجانب الآخر؛ وآخرهما، هو ظروف وفاتها. وفي الحقيقة فإن كلاً من هذين الأمرين يفسر الشهرة التي تمتعت بها كليوباترا في العصور القديمة وعبر مراحل التاريخ المختلفة.

ويمثل الصراع بين كليوباترا وأوكتافيانوس آخر مرحلة من مراحل سعيها الدائم إلى السلطة ومحاولتها الاحتفاظ بها. وهو الصراع الذي انتهى بهزيمة كليوباترا وبدخول مصر تحت سيطرة الرومان، كما سبقت الإشارة. ويشير المسعودي إلى أن أنطونيوس. غريم أوكتافيانوس، كان زوجاً لكليوباترا، وأنه شاركها في ملك "مقدونية وهي بلاد مصر من الإسكندرية وغيرها." أما أوكتافيانوس فأشار إليه بلقبه الذي حمله بعد ذلك وهو "أغسطس"، وذكر خطأ أنه كان ثاني ملوك الروم و "أول من سمي قيصر، وإليه تنسب القياصرة بعده"[٩٣]. أما مشهد وفاتها فقد أسهب مؤرخنا في وصفه كذلك، وبشكل لا يخلو من طرافة، سواء ما ذكره للحية التي قتلتها أم في تصويره لسرير الوفاة. فبعد أن لحقت بها وبأنطونيوس الهزيمة على يد أوكتافيانوس وأدركت أنه يريد أن يصل إليها لكي "يتعلم منها؛ إذ كانت بقية الحكماء اليونانيين، ثم بعدها يقتلها، "رتبت كليوباترا نهايتها بأن"[٩٤] :

أمرت بعض جواريها ومن أحبت فناءها قبلها، وأن لا يلحقها العذاب من بعدها، فسمتها [أي الحية] في إنائها فخمدت من فورها، ثم جلست قلبطرة الملكة على سرير

ملكها، ووضعت تاجها على رأسها، وعليها ثيابها وزينة ملكها، وجعلت أنواع الرياحين والزهر والفاكهة والطيب وما يجتمع بمصر من عجائب الرياحين وغيرها مما ذكرنا، مبسوطة في مجلسها، وقدام سريرها، وعهدت بما احتاجت إليه من أمورها، وفرقت حشمها من حولها.. وأدنت يدها من الإناء الزجاج الذي كانت فيه الحية، فقربت يدها من فيه فتفلت عليها الحية، فجفت مكانها.

وقد لدغت الحية أوكتافيانوس، الذي دخل عليها وهي في هذا الوضع، وتسببت في شلل "شقه الأيمن من ساعته، وذهب بصره الأيمن وسمعه." كذلك فإنه تعجب مما فعلته بنفسها، وقال في ذلك شعراً بالرومية يذكر حاله وما نزل به وقصتها، وأقام بعد ما نزل به ما ذكرنا يوماً وهلك.[٩٥] ويكفي أن ندرك مدى عدم الدقة في تصوير هذه الأحداث إذا ما عملنا أن أغسطس عاش بعد ذلك التاريخ ما يقرب من أربعة وأربعين عاماً، وأنه لم يصبه ما يشير إليه المسعودي، وأنه لم يكن شاعراً بأية حال من الأحوال.

خاتمة:

شكل تاريخ اليونان أحد الموضوعات المهمة في كتابات المسعودي الذي تناوله في أكثر من كتاب وحرص على الإشارة إليه في مختصره الأخير " التنبيه والإشراف". وف يتناوله لهذا الموضوع كان تركيزه بدرجة أكبر على أصل اليونانيين وعلى أعمال أهم ملوكهم وأشهرهم: الإسكندر الأكبر وكليوباترا السابعة.

ويتبين من ذلك أن حديثه عن هذا التاريخ ينصب بالدرجة الأولى على مرحلة العصر الهللينستي (المتأغرق)، أي مرحلة ما بعد الإسكندر، مثلما أن ملوك اليونانيين بالنسبة له هم ملوك البطالمة الذين كانوا يحكمون في مصر. كذلك فإن حديثه عن الإسكندر يعرفنا بصورته عند الهنود والشعوب الشرقية أكثر مما يعرفنا بأعماله وتاريخه، والأمر ذاته ينطبق وإن كان بشكل متفاوت، على كليوباترا. إننا نقابل أسطورة هاتين الشخصيتين في كتابات المسعودي وقد تحولت إلى تاريخ كان محل التركيز فيه على قدراتهما الفلسفية وعلى حكمتهما، أكثر منه على أعمالهما العسكرية ومهارتهما السياسية.[٩٦]

ويتضح من إشارة المسعودي المتكررة إلى أن مقدونيا هي مصر أن معرفته بجغرافية بلاد اليونان كانت محدودة، وهو الأمر الذي يفسر أيضاً عدم إشارته إلى الممالك الهللينستية (المتأغرفة) الأخرى ومن أشهرها المملكة الأنتيجونية في بلاد اليونان ذاتها، والمملكة السليوقية في بلاد الشام وآسيا الصغرى، ويتسم حديثه كذلك بعدم الدقة فيما يتعلق بسنوات حكم الملوك البطالمة الذين أشار إليهم وفيما يتعلق بألقابهم. ويتبين هنا أن كتاب مروج الذهب أكثر دقة فيما يتعلق بالألقاب وبسنوات حكم الملوك، بينما يتميز كتاب التنبيه والإشراف بأنه أكثر دقة فيما يتعلق بأعدادهم ومجموع سنوات حكمهم وهجاء أسمائهم.

وفي كتابته لفصوله عن تاريخ اليونان استعان المسعودي ببعض الأعمال المترجمة، واعتمد على بعض الدراسات التاريخية العربية السابقة له. ولأن هذه الترجمات خضعت "لسحر القلم المترجم"[٩٧] ولأن الكتابات السابقة لم يصل إلينا منها الكثير، فمن الصعب أن ننسب إليه كافة الأخطاء الواردة في كتبه. لقد سجل الرجل ما كان يعتقد أنه تاريخ اليونانيين، ولهذا فإن كتاباته تعرفنا بفكرته عن تاريخ اليونان، ربما أكثر مما تعرفنا بهذا التاريخ وأحداثه.

كذلك فإن إشاراته إلى الكتابات التاريخية لبطليموس كلاوديوس وثيون السكندري توضح أن هناك بعض الأعمال التاريخية اليونانية التي ترجمت إلى العربية، والتي يسرت له إقامته ببغداد سبل الإطلاع عليها. ربما أنها ليست كثيرة، ولا تكفي الآن لتغيير الفكرة السائدة التي مؤداها أن حركة الترجمة العربية اقتصرت على الأعمال العلمية والفلسفية والجغرافية، ولكن بعضها كان معروفاً ويشار إليه، وهو ما نأمل أن تؤكده أيضاً بعض الدراسات التالية لتاريخ اليونان في كتابات غيره من المؤرخين العرب. ويتضح من مناقشة المسعودي لتاريخ اليونان أنه لم يكن يعرف اليونانية القديمة، و لم يقرأ كتب البحاثة والعلماء اليونانيين الذين أشار إليهم في لغتها الأصلية، وإلا صحح بنفسه بعض الأسماء اليونانية، وكانت معلوماته عن تاريخ اليونان أكثر دقة وربما أيضاً أكثر تفصيلاً. وفي الحقيقة فإننا نظلم الرجل، أكثر مما نمدحه، عندما نتوقع منه أن يكون "ملماً" بكافة ألوان

المعارف والعلوم وكافة لغات الشعوب والحضارات التي كتب عنها وأشار إليها في مؤلفاته الموسوعية.[٩٨]

الحواشي:

(١) فرانز روزنثال، علم التاريخ عند المسلمين، ترجمة الدكتور صالح أحمد العلي، الطبعة الثانية، بيروت، ١٩٨٣، صفحات ١٨٧- ١٨٨؛ وكذلك: J. L. Kraemer, Humanism in the renaissance of Islam, The Cultural Revival During the Buyid Age, 2nd revised edition, Netherlands, 1992, 1-30.

J. L. Kraemer, Humanism in the renaissance of Islam, The Cultural Revival During the Buyid Age, 2nd revised edition, Netherlands, 1992, 1-30.

(٢) D.Gutas, Greek Thought, Arabic Culture: The Greco – Arabic Translation Movement in Baghdad and Early Abbasid Socieyty (2nd – 4th / 8th – 10th Centuries), London, 1998.

وبخاصة ص٢، راجع أيضاً: الدكتور رشيد الجميلبي، حركة الترجمة والنقل في المشرق الإسلامي في القرنين الأول والثاني للهجرة، منشورات جامعة قاريونس، ب. ت.، صفحات ١٧١ – ١٩١.

(٣) J.Bloom and S. Blair, Islam: A Thousand Years of Faith and Power, New Haven, 2002, esp, 124 -125, 130 – 131.

وبالنسبة لاصطلاح العرب فإنه يشير في هذه الدراسة ، ببعض التجاوز، إلى كافة الناطقين بالعربية بغض النظر عن أصولهم العرقية أو انتماءاتهم الدينية. أو مواقعهم الجغرافية.

(٤) الدكتور سليمان بن عبد الله المديد السويكت، منهج المسعودي في كتابة التاريخ، الرياض، ١٤٠٧هـ / ١٩٨٦م، صفحات ٢٤٤ – ٣٠٥، وكذلك الدكتور على حسني الخربوطلي، المسعودي، سلسلة نوابغ الفكر العربي، العدد ٣٨، القاهرة، ١٩٦٨، صفحات، ٢٤، ٢٩، ٤٤ – ٤٧.

(٥) يرى سليما السويكت (المرجع السابق، ص ٢٦٥) في تشبيه المسعودي بهيرودوت نوعاً من الحط من قدره، ومع ذلك فإن هذه الفكرة غير واردة في هذا السياق لأن كلاً من الرجلين كان علماً من أعلام الكتابة التاريخية في وسطه الثقافي والحضاري. وفيما يتعلق ببعض الألقاب الأخرى التي أطلقت عليه، ومن بينها إمام المؤرخين، و "بلينيوس الشرق"، انظر: علي حسني الخربوطلي، المرجع السابق، صفحات ٥٢ – ٥٣.

(٦) أبو الحسن علي بن الحسين بن علي المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، أربعة أجزاء، تحقيق: محمد محيى الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، بيروت، ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م؛ علماً بأن

هناك أيضاً أجزاء من بعض كتبه الأخرى ما تزال في شكل مخطوطات لم يتم تحقيقها بعد، وبأن الإشارات التالية في الحواشي هي إلى هذه الطبعات.

(٧) D. M. Dunlop, Arab Civilization to A.D., 1500, Beirut, 1971, 114: "Masterpieces of Arab Historical Writings".

(٨) مروج الذهب ومعادن الجوهر، الجزء الأول، ص٢٠؛ علماً بأن هذه العناوين قد كتبت في بدايات الأبواب بقدر يسير من التصرف على صفحات ٢٨٥، ٢٩٣، ٣٠١؛ وأنه أشار في بعض المواضع الأخرى من الكتابين إلى آثارهم وأهم دور عبادتهم.

(٩) التنبيه والإشراف، ص٢٠، حيث يشير إلى كونه مختصر؛ وصفحات ١١٣ – ١٢٢، حيث يتحدث عن ملوك اليونانيين

(١٠) المصدر ذاته، صفحات ١١٦ – ١٢٢.

(١١) نظراً لأن كتبه الثلاثة الأخرى التي كتبها بينهما، وهي كتاب "فنون المعارف وما جرى في الدهور السوالف"، و "ذخائر العلوم وما كان في سالف الدهور"، و " الاستذكار فيما جرى في سالف الأعصار"، لم تصل إلينا؛ علماً بأن المسعودي أتم كتاب "مروج الذهب ومعادن الجوهر" عام ٣٣٦هـ، ثم بدأ كتاب "التنبيه والإشراف" عام ٣٤٥هـ، وكانت وفاته عام ٣٤٦هـ؛ انظر: سليمان السويكت، المرجع السابق، ص٢٥٨.

(١٢) التنبيه والإشراف، صفحات ٢١ – ٢٢ حيث يقول.. وأن مملكتي اليونانيين والروم تتلوان مملكة فارس في العظم والعز، ... فأحببنا أن لا نخلي كتابنا هذا من ذكرهم؛ وكذلك: Dunlop, Op. Cit., 105, 109.

(١٣) مروج الذهب ومعادن الجوهر، الجزء الأول، صفحات ٢٨٥ – ٢٨٦؛ التنبيه والإشراف، ص ١١٦.

(١٤) مروج الذهب ومعادن الجوهر، الجزء الأول، ص٢٨٥؛ حيث يقول: " إنما وهم من وهم أن اليونانيين ينسبون إلى حيث تنسب الروم، وينتمون إلى جدهم إبراهيم، لأن الديار كانت مشتركة والمقاطن والمواطن كانت متساوية، وكان القوم قد شاركوا القوم في السجية والمذهب، فلذلك غلط من غلط في النسبة وجعل الأب واحداً، وهذا طريق الصواب عند المفتشين، وسبيل البحث عند الباحثين، والروم قفت في لغاتها ووضع كتبها اليونانيين؛ فلم يصول إلى كنه فصاحتهم وطلاقة ألسنتهم، والروم أنقص في اللسان من اليونانيين، وأضعف في ترتيب الكلام الذي عليه نهج تعبيرهم وسنن خطبهم". ويتضح هذا الربط أيضاً في كتابات بعض الأندلسيين، راجع: M. Graeco –Marin, " Rum in the Works of Three Spanish

Muslim Geographers," Arabia, First International Congress on Greek and Arabic Studies, Athens, 1984, 109 – 117.

(١٥) المصدر ذاته، ص٢٨٥.

(١٦) مروج الذهب ومعادن الجوهر، الجزء الأول، صفحات ٢٨٦ – ٢٨٧.

(١٧) انظر: مروج الذهب ومعادن الجوهر، الجزء الأول، ص٢٩٢: "مقدونية، وهي مصر"، وكذلك ص٣٠٤: مقدونية وهي بلاد مصر من الإسكندرية وغيرها، "وأيضاً ص٣٠٩: وأزال من بقى من ملوك الإسكندرية ومقدونية، وهي مصر.

(١٨) المصدر ذاته، ص١٢٠، حيث يشير إلى بحر نيطش ومانطش وخليج القسطنطينية.

(١٩) الدكتور جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، الجزء الثاني، بيروت – بغداد، ١٩٦٩، ص٥، وقارن كذلك: سليمان السويكت، المرجع السابق، ص٣٢٦.

(٢٠) التنبيه والإشراف، ص١١٤.

(٢١) فيما يتعلق بهذه الدلالة المرتبطة بالأسماء المنتهية بمقطع مأخوذ من كلمة "هيبوس" Hippos أي: فرس، انظر: Aristophanes, Clouds ، ٦٩ – ٧٢؛ حيث تدور مناقشة بين رجل وزوجته حول الاسم الذي يريدان إطلاقه على طفلهما، والذي تريد الزوجة أن ينتهي بهذا المقطع، وأن يكون "كسانثيبوس" Xanthippus أو "خايريبوس" Chairippos. وفيما يتعلق باهتمام المسعودي بأن يذكر معاني أسماء بعض اليونانيين التي يعرفها، انظر، على سبيل المثال، تعليقه على أن معنى اسم أرسطاطاليس هو "تام الفضيلة، لأن أرسطو هو الفضيلة، وطاليس تم، وتفسير تيقوماخوس هو" قاهر الخصم، في التنبيه والإشراف، ص١١٦.

(٢٢) مروج الذهب ومعادن الجوهر، الجزء الأول، ص٢٨٧.

(٢٣) المصدر ذاته، ص٢٨٧، الحاشية رقم ٤، حيث يلحظ محقق النص، محمد محيى الدين عبد الحميد، أن "ملبص" هي قراءة المخطوط (ب).

(٢٤) مع ما يسببه ذلك من مشكلات في بعض الأحيان عند محاولة كتابة الأسماء الأجنبية؛ انظر الصيغتين اللتين تشيران إلى كليوباترا، حيث يشير إليها المسعودي في "مروج الذهب ومعادن الجوهر"؛ ص٣٠٤، على أنها" قلبطرة؛ وفي التنبيه والإشراف، ص١١٥، على أنها" قلوبطرة.

(٢٥) التنبيه والإشراف، ص١١٦.

(٢٦) وتتبين من هذه الصيغة بعض الفروق الصوتية بين اللغتين العربية واليونانية، والتي كان من نتيجتها إضافة حرف الألف أمام الحرفين الساكنين المتتاليين في بداية الاسم في صيغته العربية (كما في حالة اسم أسبانيا، على سبيل المثال). بالإضافة إلى ذلك هناك تقديم الياء على الميم في الصيغة الأولى، وتفخيم الكاف (تحت تأثير اللام التي أعقبتها) لتصبح قافاً في كلمة القلوذي (التي هي

تعريب كلمة كلاوديوس)، وكذلك تفخيمها هي التاء في اسم "قلوبطرة"؛ وتحويل الدال إلى ذال، والذي ربما يعكس تطوراً في نطق الحروف اليونانية ذاتها في تلك الآونة.

(٢٧) كان بطليموس كلاوديوس عالماً بالفلك ورياضياً وجغرافياً، واشتهر عند العرب بكتابة المجسطي، وعاش في القرن الثاني الميلادي، كما أن هناك بعض الشروح اليونانية القديمة التي وصلت إلينا لبعض أعماله: انظر، The Oxford Classical Dictionary, 2nd ed., s.v. Ptolemy (4) (G. J. Toomer).

(٢٨) التنبيه والإشراف، صفحات ٢٧، ٣١، ٣٩، ٤٠، ٤١، ٤٣، ٤٦، ٥٧، ٦٢، ٧٥، ٧٧؛ وانظر كذلك: د. ل. أوليري، مسالك الثقافة الإغريقية إلى العرب، ترجمة الدكتور تمام حسن، القاهرة ٢٠٠٢م، صفحات ٢٠٢، و ٢٠٨ – ٢٠٩؛ وأيضاً: Gutas, Op. Cit., 148.

(٢٩) وهو ثيون السكندري Theon of Alexandria، كان رياضياً عالما بالفلك، عاش في القرن الرابع الميلادي، وكتب بعض الشروح والتفسيرات لأعمال بطليموس، وعن طريقه وصلت أعمال هذا الباحث وقوائمه الفلكية إلى العرب/، راجع: The Oxford Classical Dictionary, 2nd ed., s.v. Ptolemy (4) (G. J. Toomer).

(٣٠) التنبيه والإشراف، ص٥٧: ""ووجد بطليموس على ما عبر عنه ثاون الاسكندراني طول الإسكندرية من المشرق مائة وتسع عشرة درجة ونصفاً" وأيضاً ص١١٣، انظر كذلك: Dunlop, Op. Cit., 108 – 109.

(٣١) مروج الذهب ومعادن الجوهر، الجزء الأول، ص٢٢٩.

(٣٢) عن تقييم جيد ومختصر لهذا الدور، انظر: U. Wilcken, Alexander the Great, trans. By G. C. Richards, New York, 1967, 28 – 29. حيث يقول: "إن فيليب يبد أمامنا بوصفه أحد القادة العظام في تاريخ العالم، ليس فقط لأنه وضع الأساس لأعمال ابنه الإسكندر الذي فاقه عظمة، ولكن أيضاً لكونه رجلاً ذا أهداف وإنجازات بعيدة المنال"، وكذلك (ص٤٩) حيث يلحظ أن أوروبا لم تنجب حتى وقت فيليب (منتصف القرن الرابع قبل الميلاد) رجلاً مثله:

(٣٣) مروج الذهب ومعادن الجوهر، الجزء الأول، ص٢٨٧، التنبيه والإشراف، ص١١٣؛ على الترتيب.

(٣٤) انظر: P. Green, Alexander of Macedon 323 – 356: A Historical Biography Berkeley, 1991, 1, 106 – 107.

(٣٥) M. Renault, The Nature of Alexander, New York, Homayoun, "Alexander in Iranian Literature and Myths," in Alexander the Great:

From Macedonia to the Oikoumene, International Congress, Veria Green, Op. Cit., 478 also 27- 31 / 5 / 1998, Paraeus, 1999, 219 - 223

(٣٦) فرانز روزنثال، المرجع السابق، صفحات ١٠٦ – ١٠٧.

(٣٧) مروج الذهب ومعادن الجوهر، الجزء الأول، ص٢٨٨

(٣٨) إن مناقشة أمر كون الإسكندر ذا القرنين تخرج بنا بالضرورة عن حدود هذه المقالة، علماً بأن القارئ يجد عرضا وافياً للمصادر القديمة والدراسات الحديثة التي تناولت لهذا الموضوع في : محمد خير رمضان يوسف، ذو القرنين: القائد الفاتح والحاكم الصالح، دراسة تحليلية مقارنة على ضوء القرآن والسنة والتاريخ، الطبعة الثالثة، دمشق، ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م، الذي يرفض (صفحات ٣٥٣ – ٣٥٥) على عكس ما يرى كاتب هذه المقالة، فكرة كون الإسكندر ذو القرنين، وإن كان لا يقدم شخصية تاريخية بديلة.

(٣٩) مروج الذهب ومعادن الجوهر، الجزء الأول، ص٢٨٧، حيث يضيف أنه أشار إلى هذه الأحداث بالتفصيل في مؤلفه الذي يحمل عنوان "الكتاب الأوسط، وحيث يقول: "إن اليونانيين لما أن سار البخت نصر من ديار المشرق نحو الشام ومصر والمغرب، وبذل السيف، كانوا يؤدون الطاعة ويحملون الخراج إلى قاري، وكان خراجهم بيضاً من ذهب عدداً معلوماً ووزناً مفهوماً وضريبة محصورة، فلما كان من أمر الإسكندر بن فيلبس... ما كان من ظهوره وهمته، بعث إليه داريوس ملك فارس، وهو دارا بن دارا، يطالبه بما جرى من الرسم، فبعث إليه الإسكندر: إني قد ذبحت تلك الدجاجة التي تبيض بيض الذهب، وأكلتها، فكان من حروبهم ما دعا الإسكندر إلى الخروج إلى أرض الشام والعراق، فاصطلم من بها من الملوك، وقتل دارا ابن دارا ملك الفرس.

(٤٠) تشكل هذه الحروب موضوع كتاب المؤرخ اليوناني هيرودوتوس، الذي يحمل اسم Historiae والذي يبدو أن المسعودي لم يعرف به. انظر كذلك الدراسة المستفيضة لهذه الحروب في: A. R. Burn, Persia and the Greeks: The Defense of The west, 546 – 478, New York, 1962, esp., 193 ff

(٤١) يوضح المسعودي (مروج الذهب ومعادن الجوهر، الجزء الأول، ص٢٢٨) أنه كان مرزبان العراق والمغرب وأنه احتل بلاد الشام وفتح بيت المقدس، ويتضح من وصفه هناك أنه يعني الملك البابلي نبوخذ نصر الذي قام بكافة هذه الأعمال والذي عاش قبل حوالي مائة عام من الحروب الفارسية؛ انظر الدكتور أبو المحاسن عصفور، معالم تاريخ الشرق الأدنى القديم من أقدم العصور إلى مجيء الإسكندر، الطبعة الثانية، بيروت، ب.ت.، صفحات ٢٩١، ٣٨٥.

(٤٢) هذه الحملات هي موضوع كتاب المؤرخ اليوناني، أريانوس Arrianus، الذي يحمل عنوان "حملات الإسكندر" Anabasis Alexandri، والذي لم يعرف به المسعودي أيضاً. انظر:

فرانز رونثال، المرجع السابق، ١٠٦ – ١٠٧: "لم يصل إلى العرب قط أي من الكتب الكلاسيكية في التاريخ الأغريقي."

(٤٣) انظر: Wilcken, Op. Cit., 47 – 48. حيث يلحظ كيفية صياغة أهداف الحرب ضد الفرس في ضوء معطيات السياسة الداخلية لبلاد اليونان، وفي ضوء أهداف فيلب الخاصة؛ وراجع كذلك: لطفي عبد الوهاب يحيى، دراسات في العصر الهلنستي: أبعاد العصر الهلنستي ودولة البطالمة في مصر، الإسكندرية، ١٩٩٧، صفحات ٦٦ – ٦٧.

(٤٤) Arrianus, Anabasis Alexandri حيث يقول: "لم يهجر بيسوس وأصدقاؤه داريوس، في البداية، ولكن عندما اقترب منهم الإسكندر، طرحه نابارزانيس وبارساينتيس أرضاً وتركاه، وكان الجرح مميتاً، توفي داريوس بعده بوقت قصير قبل أن يستطيع الإسكندر رؤيته. علماً بأن أريانوس (١:١) اعتمد كما يذكر هو ذاته على كتابات بطليموس وأريستوبولوس اللذين كانا من قادة الإسكندر واللذين اشتركا معه في حملاته. راجع كذلك - Green, Op. Cit., 7 326

(٤٥) أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، تاريخ الأمم والملوك، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الطبعة الثالثة، بيروت، ١٩٦٧، الجزء الأول، الصفحات ٥٧٣ – ٥٧٧.

(٤٦) مروج الذهب ومعادن الجوهر، الجزء الأول، صفحات ٢٨٨ – ٢٨٩؛ وانظر كذلك: ص ٢٣٢ حيث يضيف أن دارا كان قد قضى عندئذ ثلاثين عاماً في الحكم.

(٤٧) مروج الذهب و ومعادن الجوهر، الجزء الأول، ص٢٩١؛ علماً بأن المصادر اليونانية تشير إليها باسم روكسانا؛ انظر: Arrianus, Anabasis Alexandri, 4. 16 – 20

(٤٨) أسس الإسكندر في إيران والهند ما يزيد عن عشر مدن، ومنها في الوقت الحالي كابول وقندهار ومرو وسمرقند؛ بالنسبة لمواقع هذه المدن انظر الخريطة الموجودة في: Arrian, The Campaign of Alexander, trans by A. De Séleincourt, Revised with a new introduction and notes by J. R. Hamilton, New York, 1971, 7 – 416. وسيشار إلى هذا المرجع بعد ذلك بوصفه: Séleincourt and Hamilton . كذلك فإن المسعودي يشير في موضع آخر (مروج الذهب ومعادن الجوهر، الجزء الأول، صفحات ٣٧٠ – ٣٧٤) إلى بناء الإسكندرية المعروفة في مصر بأسلوب يخلط بين الواقع والأسطورة

(٤٩) مروج الذهب ومعادن الجوهر، الجزء الأول، صفحات ٢٨٨ – ٢٨٩؛ حيث يقول: "وسار الإسكندر بعد أن ملك بلاد فارس، إلى أرض السند والهند، ووطئ ملوكها، وحُملت إليه الهدايا والخراج، وحاربه ملكها فور، وكان أعظم ملوك الهند، وكان له معه حروب، وقتله الإسكندر مبارزة. ثم سار الإسكندر نحو بلاد الصين والتبت؛ فدانت له الملوك وحملت له الهدايا والضرائب،

وسار في مفاوز الترك يريد خراسان من بعد أن ذلل ملوكها ورتب الرجال والقواد فيما افتتح من ممالك، ورتب ببلاد التبت خلقاً من رجاله وكذلك بلاد الصين.

(٥٠) من الملاحظ أن الثورات التي حدثت بعد وفاة الإسكندر كانت في بلاد اليونان ذاتها، وقام ببعضها أيضاً اليونانيون الذي وطنهم في الأماكن المفتوحة، انظر: W. W. Tarn, Alexander the Great, Boston, 1959, 3 – 142.

(٥١) مروج الذهب ومعادن الجوهر، الجزء الأول، ص٨٠، وص ٢٩٣: "لما قتل الإسكندر فور صاحب مدينة المانكير من الملوك الهند... "، وأيضاً: Green, Op. Cit., 390 - 401

(٥٢) مروج الذهب ومعادن الجوهر، الجزء الأول، ص٢٨٩.

(٥٣) De Séleincourt and Hamilton, Op. cit., 395n. 113 حيث يعلقان على ما يذكره أريانوس (٧: ٢٨) من أن وفاته كانت في الاوليمبياد الرابع عشر بعد المائة، في العام الذي كان فيه هيجيسياس Hegesias حاكماً يؤرخ العام باسمه في أثيناً.

(٥٤) انظر، على سبيل المثال، تفاصيل أحداث مؤتمر بابا الذي عقد عقب وفاة الإسكندر، ودور بطليموس في هذا المؤتمر بالمقارنة بأدوار بقية القادة، في : الدكتور سيد أحمد الناصري، تاريخ وحضارة مصر والشرق الأدنى القديم في العصر الهيلنستي، القاهرة، ١٩٩٢، صفحات ٩٥ – ٩٧، وكذلك: W. M. Ellis, Ptolemy of Egypt, London, 1994. 24 - 27

(٥٥) مروج الذهب ومعادن الجوهر، الجزء الأول، ص٢٨٩، وكذلك ص٢٩٢.

(٥٦) المصدر ذاته، ص٢٩٠ – ٢٩١.

(٥٧) مروج الذهب ومعادن الجوهر، الجزء الأول، ص٢٩٢. ويحدد المسعودي تاريخ الكتابة بأنه سنة اثنتين وثلاثين وثلاثمائة من الهجرة.

(٥٨) Ellis, Op. cit., 3؛ علماً بأنني لا أعلم من أين أتى المسعودي بهذا الاسم الذي أطلقه على والد بطليموس

(٥٩) Ellis, ibid, 29, 33

(٦٠) P. M. Fraser, Ptolemaic Alexandria, Vol. 1, Oxford, 1972, 123 with note 257 where he refers to the ancient testimonia.

(٦١) انظر على سبيل المثال: Arrianus, Anabasis Aleandri, 24 – 28; Plutarch, Life of Alexander, 74 – 77.

(٦٢) مروج الذهب ومعادن الجوهر، الجزء الأول، صفحات ٢٩٣ – ٣٠٠، مع الحاشية رقم ١ على ص ٢٩٣.

(٦٣) المصدر ذاته، ص٣٠٠.

(٦٤) المصدر ذاته، ص٢٨٩؛ حيث يلحظ أيضاً أن "أرسطوطاليس" كان "حكيم اليونانيين"

(٦٥) Plutarch, Life of Alexander, 64 – 65؛ وانظر كذلك: Arrianus, Anabasis Alexanri, 7, 2 – 4 الذي يذكر هنالك أنه لطالما أعجب بقصة الحكماء الهنود الذين قابل الإسكندر بعضاً منهم، ويضيف بعد ذلك أن أي تاريخ للإسكندر لن يكون كاملاً دور الإشارة إلى ما دار بين الإسكندر وفيلسوف منهم يدعى كالانوس Calanos

(٦٦) مروج الذهب ومعادن الجوهر، الجزء الأول، صفحات ٢٩١ – ٢٩٢؛ والتنبيه والإشراف، ص٩٨" " وغلب الإسكندر ملكهم ست سنين."

(٦٧) التنبيه والإشراف، ص١١٤

(٦٨) Arrianus, Anabasis Aleandri 7, 28

(٦٩) Tarn, Op. cit. 1

(٧٠) De Séleincourt and Hamilton, Op. cit., 184n, 540; 404

(٧١) مروج الذهب ومعادن الجوهر، الجزء الأول، ص٣٠٧؛ وكذلك ص٣٠٩: "وقد قدمنا أن كل ملك كان يلي مقدونية والإسكندرية يسمى بطليموس"

(٧٢) المصدر ذاته، ص٣٠٢؛ مع الحاشية رقم ٦ حيث توجد قراءة أخرى للاسم: أنطيخش.

(٧٣) المصدر ذاته، ص٣٠٧؛ وعلى ما يبدو فإنه رجع هنا إلى قائمة بطليموس الذي بدأها بالملك نبوخذ نصر، المصدر ذاته، ص٢٢٩.

(٧٤) التنبيه والإشراف، ص١١٣؛ راجع كذلك الحاشية السابقة.

(٧٥) الدكتور إبراهيم نصحي، تاريخ مصر في عصر البطالمة، الجزء الأول، القاهرة، ١٩٨٤، صفحات ٢٢٨ – ٢٣١، مع الحاشية رقم ٢ على صفحات. ٢٣٢ – ٢٣١.

(٧٦) G. Hölbl, A History of the Ptolemaic Empire, London, 2001, 238, 247.

(٧٧) Ellis, Op. Cit., 28, 46, 60

(٧٨) الدكتور مصطفى العبادي، مصر من الإسكندر الأكبر إلى الفتح العربي، القاهرة، ١٩٨٥، ص٥٤.

(٧٩) المرجع ذاته، صفحات ١٩، ٢٢؛ وكذلك: Arrianus, Anabasis Alexandri, 3. 1 - 6

(٨٠) انظر: G. Hölbl, op. cit., 248 الذي يؤرخ لهذا الحدث بالأول من أغسطس.

(٨١) والتي لا يمكن أن تشتمل بأية حال على فيليب والد الإسكندر الذي توفي عام ٣٣٦ ق.م. قبل أن يبدأ الأخير حملاته عام ٣٣٤ ق.م.

(٨٢) الذي هو ٢٩٣ عاماً وثمانية عشر يوماً، وليس، كما هو واضح المجموع الفعلي للسنوات التي يذكرها أمام كل منهم والتي تتصف بعدم الدقة.

(٨٣) S. B. Pomeroy, Women in Hellenistic Egypt from Alexander to Cleopatra, New York, 1984, 23 التي تلحظ أيضاً تكرار بعض أسماء الملكات، وترى أن تلك الظاهرة كانت رمزاً من رموز قوة الأسرة ومكانتها.

(٨٤) مع اعتبار أن لقب "الصانع" ولقب " الأريب" يقابلان الخير، راجع الفقرة التالية

(٨٥) مع اعتبار أن لقب "الصانع" ولقب " الأريب" يقابلان الخير والإسكندر، راجع الفقرة التالية. علماص بأنه يمكن زيادة هذا العدد إذا ما اعتبرنا لقب "هيفلوس" تحريفاً لكلمة "هو أديلفوس" (ho adelphos) التي تشكل (بدون الآداة) الجزء الأخير من لقب بطليموس الثاني.

(٨٦) مروج الذهب ومعادن الجوهر، الجزء الأول، ص٣٠٣؛ باستثناء بطبيعة الحال تقديم حرف السين على الكاف.

(٨٧) المصدر ذاته، ص١١٦؛ مروج الذهب ومعادن الجوهر، الجزء الأول، ص٣٠٣؛ وقارن سليمان السكويت، المرجع السابق، ص٣٢٧، الحاشية رقم ١، حيث يرى على أساس هذه الملاحظة أن معلومات المسعودي عن اليونانيين في التنبيه والإشراف تحمل طابعاً تاريخياً صحيحا أكثر منه في المروج، وهو الأمر الذي لا يمكن التعويل عليه على أساس نتائج هذه الدراسة، وبخاصة فيما يتعلق بسنوات حكم الملوك البطالمة، وألقابهم.

(٨٨) مروج الذهب ومعادن الجوهر، الجزء الأول، صفحات ٣٠١ – ٣٠٣.

(٨٩) المصدر ذاته، الجزء الأول، ص٣٠٢. علماً بأن هذه العبارة يمكن أن تشير إلى الحروب السورية الأولى التي دارت في بداية عهده وإلى مجيء اليهود بأعداد كبيرة للإقامة في الإسكندرية، انظر : G. Hölbl, op. cit., 40; 189 – 190؛ وراجع التنبيه والإشراف، ص١١٤. وكذلك: مصطفى العبادي، المرجع السابق، صفحات ١١٢ - ١١٣.

(٩٠) مروج الذهب ومعادن الجوهر، الجزء الأول، ص٣٠٣؛ وراجع: لطفي عبد الوهاب يحيى، المرجع السابق، صفحات ١٤٣ – ١٤٥. وكان هذا لقب أنتيوخوس الثالث الشعبي، لأن لقبه الرسمي كان "ميجالوس" أي: العظيم، وقد حصل على لقب الإسكندروس بعد حملاته على الشرق.

(٩١) مروج الذهب ومعادن الجوهر، الجزء الأول، ص٣٠٤؛ وقارن ذلك: التنبيه والإشراف، صفحات ١١٥ – ١١٦، حيث يقتصر على وصفها بأنها " حكيمة"

(٩٢) انظر Plutarch, Life of Antony, 27, 3 الذي يلحظ ثقافتها ومعرفتها وأنها كانت أول من اهتم بتعلم لغة أهل البلاد، وآخرهم.

(٩٣) مروج الذهب ومعادن الجوهر، الجزء الأول، صفحات ٣٠٤ – ٣٠٥؛ علماً بأن أوكتافيانوس كان ابناً ليوليوس قيصر بالتبني.

(٩٤) مروج الذهب ومعادن الجوهر، الجزء الأول، صفحات ٣٠٥ – ٣٠٦؛ علما بأن حديثه هنا يشبه حديثه عن الإسكندر، قارن : Plutarch, Life of Antony, 86

(٩٥) المصدر ذاته، الجزء الأول، ص٣٠٦.

(٩٦) قارن: فرانز روزنثال، المرجع السابق، ص١٠٦؛ الذي يلحظ أن "الحكميات" بشكل عام شكلت جزءاً مهماً من السير والتراجم عند كتاب التاريخ العرب

(٩٧) Gutas, op. cit., 1

(٩٨) على حسني الخربوطلي، المرجع السابق، ص٢٤: ألم المسعودي بألوان مختلفة من العلوم والثقافات فقد درس العلوم اللغوية والأدبية والفقهية، كما ألم بالتاريخ والجغرافيا والفلسفة، وتعلم كثيرا من اللغات، كالفارسية والهندية واليونانية والرومية والسيريانية؛ وكذلك لجنة تحقيق التراث. التنبيه والإشراف، ص٦: * إن أقل ما يقال بالمسعودي أنه: عالم، فلكي، حاسب، جغرافي، فقيه، محدث، جدلي، نظار، ديانى، مؤرخ، ناسب، أخباري، فيلسوف، أديب، راوية. وأنه كان ملماً بعدة لغات كالفارسية والهندية واليونانية والرومية والسريانية (لقد وضعت خطاً تحت الكلمات المقتبسة لتوضيح الفكرة.